

الدنيا بخير

قصة : « محمد القرش »

مقدمة
بقلم محسن تيمور

كان طبيعيا ، وقد انفسح الميدان لكل راغب في الثقافة ، وتوافرت الفرص امام حملة الاقلام على اختلاف المستويات ، ان يزدحم على كتابة القصة عامة والقصيرة خاصة ، واردون كثير ، فهي منهل عذب ، وفيها طواعية ومرونة ، ومن ثم يستلين ناشئة الكتاب جانبها في التعبير والتصوير .

وفي مثل هذه الحال ، التي يتزايد فيها الكم ، يتناقض الكيف ، فبينما يفزر الانتاج ، يندر منه الجيد المستطاب .

وابا كان الامر ، فليس من شك في ان هذا الانبعث الى معالجة القصة في نطاق واسع ، سبيل الى اماطة اللثام عن مواهب كامنة ، فيارب صوت ضاع خلف الأبواب الموصدة ، ويارب جمرات متقدة ان لم يدركها الترويح خبت نارها تحت الرماد !

ولشد ما يشوق المرء ان تومض له بارقة عمل فني جيد ، فيما تظالعنا به الصحف ودور النشر من قصص ، فان في هذه البارقة تعويضا كريما عما نحسه من الفضاضة حين يتبين لنا ما في الفجر القصصي الزاخر من غث هزيل ، وان فيها لتجديدا للتفاؤل بمستقبل القصة بين فنون الأدب العربي ، والاطمئنان الى انها ماضية الى امام ، وان لم تسلم خطاها على الطريق السوي من عشرات .

ولقد اتاح لي الاستاذ « محمد القرش » ان اقرا قصته القصيرة : « الدنيا بخير » ، فاشاع في نفسي الفرحه بقاء قاص جديد ، اسمعته الملكة ، ولم تعوزه الادوات .

ولئن كانت قصته تلك هي باكورة ما يقدم للنشر ، انها

بقيمتها الفنية قد سلمت مما عسى ان يكون في الجواكير من ضالة
وضعف . فهي باكورة توافر لها من عناصر النضج والابتناع ما
يعز توافره على غير الموهوبين من القصاص .

ومما زادنى اعجابا ان الاستاذ « محمد القرش » ثمره طيبة
للثقافة العصامية الحرة ، طالع ما طالع في الادب العربي القديم ،
والم الما غير قليل بالادب العالمى الحديث ، ودبت فيه نزعة الكتابة،
ولكنه صن بقلمه ان يظهر به على الملأ ، عند اول القطر . فآثر
التريث ، وصبر نفسه على التجربة ، وهو اليوم يقدم باكورته
القصصية وقد جاوز الأربعين من عمره ، اذ احس انه قد أصبح
صاحب حق في ان ينشر ما يكتب ، كشأن من آتس في نفسه المقدرة
على السباحة ، فدفع بساعديه في الخضم المواج ، على رعوس
الاشهاد .

وانت تطالع قصة « الدنيا بخير » فيسترعى انتباهك ، باديء
بدء ، ان كاتبها الاستاذ « محمد » - واسمه يكشف بوضوح عن
ديانته - بصور لك الحياة في بيئة مسيحية ، فيحسن تصوير الطابع
الخاص لتلك البيئة في طوايا القصة حتى يجعلك تستشعر ذلك
الطابع استشعارا لاخفاء به فيسدك على ان الكاتب بفضنته ودقة
ملاحظته لا يعجز ان يستخلص بالتعرف والمخالطة مختلف المعالم
التي تعين على ابراز الطابع المميز .

وعظمة الموضوع الذي عالجه الاستاذ « محمد القرش » ،
تتمثل في انه استطاع ان يجلو لنا صورة هادئة دقيقة لحياة رجل
من نوى الحرف ، في اثناء قيامه بعمله ، وفي علاقته بصاحب المحل
الذى يعمل فيه . فهذا الرجل اسكاف أو - كما نسميه في لهجتنا
الدارجة - « عتقى » ، ينكفىء طول يومه على السندان ، وفي يده
مطرقة ، ولسانه مشغول بنقل المسامير الصغيرة من تحته الى
شفتيه ، ولا عزاء له آخر الا في نظرتة الراضية الى الحذاء الالامع،
وقد انبثت بين يديه حيا . وبجانب الرجل رئيسه ، يشترك
معه في العمل ، وكلاهما صامت ، لا لانهما عزوفان عن الكلام ،
بل لان فم كل منهما محشو بالمسامير .

واستطاع الكاتب كذلك ان يقفنا على معيشة الرجل
المنزلية ، بين زوجه واطفاله ، وكاننا معهم نرى ماذا يطعمون ،
وعلى اى نحو ياوون الى المضاجع ، وكيف يصرفون شئونهم
في صبر واحتمال لما يعانون من جهد وشظف .

ومع ان القصة عامرة بجوانب كثيرة ، تأخذ على الكاتب

سبيله ، لم تخل شرائحها من تحليل نفسى ، يتبين به تطور الشخصية ، وتنازع التفكير . ففيها عند الاقدام على الامر المستنكر ابانة عما يعتلج في النفس من تردد ومحاذرة ، وفيها ما يجرى عليه الطبع البشرى من ممارسة التصرفات من محاولة التعليل وارادة التبرير . فلا قفز في المواقف ، ولا فرض للسلوك ، ولا جمود في الشخوص .

وبالرغم من تعاون الظروف والملابسات على أن يخلد الزوجات الى فكرة جريئة ، وبالرغم من عزمهما على تحقيقها ، وشروعهما في انفاذها ، لم تلبث الفكرة الجريئة ان انهارت على صوت العاطفة . وقد اطلق الكاتب هذا الصوت العاطفى فى تدبير محكم ، ومنحى غير متكلف ، فان الصيحة التى انطلقت من فم الطفل الغريب هزت نفسية الرجل ، اذ بدا له مصير طفله امام عينيه ، فوهن عزمه ، ونكص عن فكرته ، بل لم يطق أن يترك الطفل الغريب لمصيره الاليم . وهذه الاستجابة العاطفية لها اصالتها فى نفس الانسان ، مهما يكن من وطأة الظروف والملابسات ، ومهما يكن من امر العزم والاصرار .

ولكن الكاتب - فى حرصه على أن يجعل لهذا التطور باعته انطبيعى ، وسنده المنطقى - كان موفقا كل التوفيق حين هيا لنا أن ندرك السر فى اقبسال الزوجين على شىء ، على حين انهما خرجا يتخلصان من مثله ، فقد كان فى الطفل الغريب ما يقربهما بقبوله ، اذ تمّ يعيش لهما من ذريتهما غير الذكور ، وما اشوقهما - مهما تكن الحال - الى أخت للبنين !

وفى القصة، خلال تصوير شخصياتها ، وحكاية احداثها ، تراءى لنا جملة من مشكلاتنا الاجتماعية ، وفيها مع هذا كشف عن سماتنا الشائعة ، وعلى رأسها الاستسلام للواقع ، وقد تألف من خيوط الخاتمة على قلتها نسيج متأصل فى كيائنا ، وهو الاريحية المفاجئة عند الشدائد لاغائة الملهوف ، وبذل المعروف . واروع ما انطوت عليه هذه الاريحية هو اللمع الخفيف الى ان العاطفة الانسانية تلتقى على تعدد الاديان ، بل لعل جوهر الايمان من اقوى البواعث على أن تتوهج تلك العاطفة توهجها العظيم .

وانى لمعتز بأن اقدم الآن هذا الزميل الجديد ، الأستاذ « محمد القرشى » فهو قرشى « ابيض » نافع ، كما يقول المثل العامى السائر . وارجو أن يكون عنوان قصته الاولى « الدنيا بخير » ، بشيرا بأن « القصة بخير » !